حوار..

بقلم : احمد طلعت

تحية للسادات..!!

الاحتفال بالذكرى السنوية لرحيل انورالسادات ،التى تصادف بعد غد الاربعاء ،ليس كاحتفالات السنوات الماضية -ولاينبغى له ان يكون مثلها فهويحل علينا بعد توقيع الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى فى واشنطن يوم ١٣ سبتمبر الماضى ،على «ذات» المائدة التى وقع عليها انورالسادات اتفاق السلام مع اسرائيل منذ سنوات طويلة .

والسلام مع اسرائيل كان هوالسبب الرئيسى وراء اغتيال انورالسادات ،وان لم يكن السبب المباشر ،فقد تجمعت ضده منذ توقيع الاتفاق«موجات» متلاحقة من الكراهية فى الوطن العربى ،وفى داخل مصر،كانت كلها قاصرة عن فهم المتغيرات الدولية المنتظرة ،وعاجزة عن رؤية الطريق الواقعى لحل نزاع استمر ما يقرب من نصف قرن ظل يتردى خلاله يوما بعد يوم حتى وصل إلى قمة المهانة والتعقيد فى اعقاب هزيمة الخامس من يونيوعام ١٩٦٧.

وكان السادات - وحده - سابقا لزمانه - فى الرؤية وفى الواقعية ،فأمسك بزمام المبادأة ليحل النزاع بالقوة المسلحة الى الحد الذى تسمح به توازنات القوى الدولية ،وبالدعوة للسلام بالطريقة التى يفهمها العالم المتحضر ،وكانت حرب ٧٣ ثم مبادرة السلام «وترين» عزف عليهما السادات بكفاءة واقتدارحتى حرر الارض المصرية بأكملها ،ووضع الاساس الصحيح للحل الشامل والعادل للصراع العربى الاسرائيلى فى مجمله .

لكن موجات الكراهية تجمعت حول السادات ،وكان وراء هذه الموجات دوافع كثيرة ومتعددة ،فبعض القادة العرب تصوروا ان السادات قد سحب البساط من تحت اقدامهم ،وبعض هؤلاء كانت القضية الفلسطينية هى «السند» الوحيد لبقائهم فى السلطة على انقاض حرية شعوبهم وارادة مواطنيهم .وبعض الفصائل الفلسطينية كانت «تقبض» ثمن الكفاح بالشعارات وبالصياح من دول وحكومات كانت مستعدة لان تدفع المال الكثيرمن اجل ان لاينبش احد فى فضائحها او«يتطاول» بنشر صورة لاحد حكامها على موائد القمار..!!

اما هذا فى مصر ،فان «فلول» الحكم الشمولى كانت تعلم ان السلام سوف يضع النهاية لاى امل يراودها فى العودة الى السلطة ،فلن تكون هناك معارك لايرتفع صوت فوق صوتها ،ولن تكون هناك «مزايدات» يمكن ان تعيد عقارب الساعة إلى الوراء .بل ان بعض القوى الفاشية فى مصر كانت تخشى من الديمقراطية القادمة بالضرورة بعد السلام ،فأرادت ان «تجهض» السلام حتى تقطع الطريق امام الديمقراطية التى لايمكن ان يعيش فى ظلها خفافيش الظلام .

ثم كانت الرصاصات التى اودت بحياة انور السادات يوم السادس من اكتوبر ،وتصورت قوى الحقد والكراهية ان السلام قد انتهى ،وان الشعارات سوف ترتفع من جديد ،وان العودة الى «احضان» الاتحاد السوفيتى قد اصبحت وشيكة مع ان الاتحاد السوفيتى نفسه كان قد دخل غرفة «العناية المركزة» التى لفظ فيها انفاسه الاخيرة بعدها ببضع سنوات .

وفى ذكرى السادات هذا العام ،وهى الذكرى التى تختلف عن كل الاعوام السابقة ،تاكدت عدة حقائق لايمكن ان ينكرها اشد المكابرين ،فالسلام بين مصر واسرائيل قد استمر ،والارض باكملها قد عادت إلى مصر «لا» لانها «حفنة» من الرمال ،ولكن لانها جزء من الشرف ومن العرض ،وجبهة «الصمود والتصدى» انهارت من داخلها واثبتت الايام عجزها عن اى شىء يتجاوز الشعارات ،ومنظمة التحرير الفلسطينية التى هى الممثل الشرعى «والوحيد »للشعب الفلسطينى قد اعترفت باسرائيل ووقعت معها اتفاقية غزة - اريحا .

وكان انورالسادات يقول بأن ٩٩٪ من اوراق اللعبة فى يد امريكا ،فضحكوا ..وسخروا منه ..وقالوا انه القى بنفسه فى احضان الامريكان ،وزايدوا ورفعوا شعارات «النضال» ودقوا طبول الحرب ،ثم انتهوا الى نفس المائدة التى وقع عليها السادات اتفاقيات كامب ديفيد ،وكان التوقيع فى الحديقة الجنوبية للبيت الابيض فى مدينة واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الامريكية ..!!

ليس هذا فقط ،وانما تزعمت امريكا ايضا حملة عالمية لجمع «التبرعات» لمساعدة السلطة الفلسطينية على مباشرة سلطاتها فى الاراضى التى سوف تنسحب منها اسرائيل وانشاء البنية الاساسية فيها ، واغرب ما فى الامر ان امريكا لاتباشر هذه الحملة مع حلفائها فى اوروبا واليابان فقط ، وانما ايضا مع دول عربية «صديقة» تنتظر الوساطة الامريكية لكى تساعد الفلسطينيين ..!!

فهل اخطأ السادات عندما قال بأن ٩٩٪ من اوراق اللعبة فى يد امريكا، ام كان صاحب رؤية بعيدة لم تستطع الشعارات ان تحجبها اوتشوش عليها ..؟؟

لقد اجاب الشاعراحمد شوقى على هذا السؤال فى قصيدته التى يقول فيها : «والحكم للتاريخ فى الآراء»..!!